نحن والإسلام
وعيون الآخرين ! (*)

أتيح لى فى مجمع البحوث الإسلامية، أن أناقش الترجمة العربية المحققة والمعلق عليها بمعرفة الدكتور عبد الرحمن عبد الله الشيخ لكتاب " محمد : مؤسس الدين الإسلامى، ومؤسس الإمبراطورية الإسلامية الذى وضعه بالإنجليزية جورج بوش الجد الأعلى (١٧٩٦ - ١٨٥٩)، وصدرت طبعته الأولى سنة (١٨٣٠) بعنوان : The life of Mohamed; founder of the religion of Islam, and of the Empire of the Saracens.. والطبعة المترجمة التى راجعتها، قد تضمنت النص الإنجليزى عن الطبعة الإنجليزية الثانية وفى مقابلها الترجمة العربية متضمنة التحقيق والتعليق، حالة كون المؤلف : الجد الأعلى للرئيس جورج بوش الأب، يكتب بقاموسه الذى وإن تخلص تناوله لرسول الإسلام من كثير من المفاهيم الخاطئة، إلا أن الكاتب - بالبداهة - ليس مسلم العقيدة، ولا هو إسلامى الهوى، بل تفلت منه قصدا أو

---

* الأهرام ٢٠٠٨/٤/١٧

عفوا، تعبيرات تفصح عن عقيدته ولا تتفق مع عقيدة المسلمين فى رسول القرآن عليه السلام. فهو من البداية، وفى العنوان، يحرص على استخدام لفظ " مؤسس " " Founder "، ويستخدم فى العديد من المواضع كلمة " الدعىّ " " Imposter " وصفا لرسول القرآن عليه السلام، قاصدا بذلك، وإن استخدم أحيانا وصف " النبى " أو " الرسول " - استحضار أو إسباغ معنى الصناعة البشرية على دين هدايته من السماء، ولذلك فإن المترجم المحقق المعلق، يحرص فى تقديمه للترجمة الشاملة للنصين الإنجليزى والعربى على أن يبين أن من أغراض ترجمة هذا الكتاب، التصدى لمزاعم المؤلف، وافتراءاته على خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، وتفنيد هذه المزاعم والرد على تلك الافتراءات أولا، وثانيا معرفة الفكر الدينى الذى يسود برأس الحفيد الأدنى الرئيس الأمريكى الحالى وقلبه، كما ساد من قبل رأس أبيه الرئيس الأسبق، والمتوارث عن فكر دينى لآل بوش متغلغل فيهم منذ سنوات بعيدة !

ومن أغراض هذه الترجمة على حد ما أورده تقديم الناشر، الكشف عن المصادر الأساسية للكراهية والحقد والعنصرية التى يمارسها تيار متطرف فى فكر الغرب الأمريكى ضد الإسلام، يصف العرب والمسلمين بالتطرف، ويشن عليهم حملة ظالمة !.. وقد تساءلت وقت مناقشة الترجمة الكاملة للكتاب، ولا زلت أتساءل، ما الحاجة إلى هذه الترجمة إلى العربية حتى وإن حملت ما حملته من تعليقات وتعقيبات تكشف الفكر الملبوس والحقد الدفين لدى المؤلف الأمريكى الراجع إلى قرابة مائتى عام. إن الترجمة إلى العربية لا تخدم الخطاب الدينى الإسلامى أو العربى، فالمسلم الناطق بالعربية يفهم ويعرف دينه من القرآن المجيد والسنة النبوية ومن

السيرة والأثر وكافة المصادر والمؤلفات الإسلامية، وليس بحاجة إلى استحضار الأغلاط والافتراءات الأمريكية أو الغربية ثم التعقيب أو الرد عليها، ربما يهتم بذلك الخواص المتصدون للدعوة الموجهة إلى الأغيار، ولكن هؤلاء لديهم علمهم ومعرفتهم وأدواتهم لتحصيل ما كتبه المؤلف بالإنجليزية، والتعقيب عليه هناك لا هنا، وبلغة هؤلاء الأغيار لا بلغتنا العربية. ربما أغرى المترجم المحقق المعقب - وكما قال فى تقديمه - أن بالكتاب إقراراً من المؤلف بإشارات وردت عن النبى محمد - صلى الله عليه وسلم - فى بعض أسفار العهد القديم، ولكن المؤلف يغالط فى دلالتها فيتصدى المترجم للتعقيب عليها، ليثبت خطأ مخالفته التفسير الصحيح لهذه البشارات، وليمسك على المؤلف أنه هو ذاته قد أورد آيات أخرى من العهدين القديم والجديد، مؤكدا أنها تشير إلى ظهور النبى محمد وانتشار دعوته. ولكن هل تبرر هذه الجزئية ترجمة الكتاب كله إلى العربية، وألا يكفى انتقاء ما سلم به المؤلف من إشارات والتعقيب عليه فى مقال أو فصل فى كتاب، وهل يحتاج هذا الاستدلال إلى ترجمة ضخمة بلغت بالنصين الإنجليزى والعربى (٦٦٥) صفحة لكتاب بالإنجليزية يناهض الإسلام ورسوله، كتبه بوش الجد الأعلى من قرنين من الزمان ؟!

إن المؤلف بوش الجد الأعلى، سجل فى تقديمه للكتاب بنصه الإنجليزى - أن دافعه للتصدى لما كتبه التأثير الضخم الذى أحدثه ما أسماه بالدين (المحمدى) بصرف النظر عن كونه - فيما يقول - دينا صحيحا !.. وإنه لكون هذا الدين قد وقع على رأس الكنيسة المسيحية، واهتم به كثيرون - بوصفه هرطقة مسيحية على حد قوله، أى مذهباً مسيحياً غير صحيح، أو خرافة وثنية، فإنه من هنا، وبنص عبارة المؤلف بوش الجد الأعلى : " فقد

كان قدر هذا الدين أن يرتبط بكل العقائد الفاسدة التى أفسدت الإنجيل. وبقدر ما نفضح هذه النبوة ونكشفها أو بقدر ما نكشف الادعاء الحالى " Present posture" الموجود على ظهر الأرض، كلما عجلنا بسقوط الخداع Delusion، وعجلنا بتأصيل الحق، وزاد اهتمامنا - بعمق - بهذه المناطق التى طالت فيها سيادة هذا الدين " !!

لست بداهة أتحفظ على التصدى والتعقيب الذى أورده المترجم على الفكر الملبوس فى هذا الكتاب للمؤلف جورج بوش الجد الأعلى، والحق أن المترجم المحقق المعلق قد قام بجهد موفور فى التصدى لكتابات المؤلف الضالة والتعقيب عليها، وليس هدفى هنا أن أستحضر ما افترى به المؤلف على الإسلام ورسوله وتصدى له المترجم ورد عليه، فذلك التصدى واجب، والرد اللازم، ولكن السؤال هو إلى أين وبأى لغة يجب أن يتجه التصدى والرد ؟! وهل يحتاج ذلك إلى هذه الترجمة الضخمة للكتاب كله، وألا يجزئ فيه مقال أو فصل فى كتاب - بدلا من الترويج (غير المقصود) لهذا الكتاب المليء بالضلالات الذى وضعه - سنة (١٨٣٠) - جورج بوش الجد الأعلى ؟! ظنى أن الأولى والأجدر، بالمبالغ الطائلة التى أنفقت على إعادة نشر الكتاب مترجماً، أن ينهض المترجم وهو قادر مالك لأدواته، على تسطير ما يريده بالإنجليزية تعقيبا على ضلالات هذا الكتاب، وتلمس السبل والوسائل لبثه إلى قراء الإنجليزية، سواء فى أمريكا أو فى غيرها من البلدان الناطقة بالإنجليزية.

ظنى أن خطابنا الدينى يكاد يغفل الأغيار الأجانب، الناطقين بغير العربية، إغفالا تاما، فلا يحدثهم ولا يكتب إليهم بلغاتهم، بينما نرى كاتبا فرداً كعباس العقاد، يتصدى وحده ومن أكثر من نصف قرن، إلى كتابات

الغرب عن الإسلام ورسوله متناولا كلاً منها بما يستوجبه تبعا لنواياها أو لمادتها، رأيناه مستشهدا فى كتابه " عبقرية محمد " بما كتبه العالم الأوروبى ماركس دودز Marcus Dodds فى كتابه محمد وبوذا والمسيح : " Mohamed , Budda and Christ"، ورأيناه يورد كثيرا من الاستشهادات أو التعقيبات على كتابات الغرب، الإيجابية والسلبية، ويناقشها مناقشة واعية متمكنة فى كتبه أمثال : ما يقال عن الإسلام، وحقائق الإسلام وأباطيل خصومه، وعقائد المفكرين فى القرن العشرين، والإنسان فى عقيدة القرآن إزاء العقائد الأخرى أو المذاهب الإنسانية، والإسلام دعوة عالمية.

التصدى لحملات الإساءة لرسول الإسلام والإسلام، لا ينبغى أن ينحصر فى ردود أفعال أو التزام الدفاع، مثلما لا يلزمه الإفراط فى الخطاب إلى المسلمين، فالمسلمون يعرفون دينهم وقدر ومكانة رسولهم الكريم، وينزلانهما منزلة العقيدة الهادية التى بها يؤمنون. التصدى لهذه الحملات يستوجب خطاباً موصولاً إلى الأغيار، بأسلوبهم وبلغاتهم وبالمنطق الذى يفهمونه هناك، لكشف بهتان ما ران عليه اعتيادهم منذ قرون، وجلاء حقيقة براءة الإسلام والمسلمين مما يرام إلصاقه بهم من أعمال متطرفين لا تنتمى بل تناهض جوهر وحقيقة الإسلام.

يحتاج هذا الخطاب إلى جمهرة من العلماء المجيدين للإنجليزية والفرنسية والإسبانية وغيرها من لغات الغرب، وإلى آلية حاضنة، تتوفر لها الإمكانيات، والروح والإخلاص، لتنهض بهؤلاء العلماء والمفكرين على هذه الرسالة العظمى التى ليس حسبها فقط أن ترد عن الإسلام ما يفترى به عليه، وإنما تبصر العالم وتقى البشرية مما يمكن أن يحيق

بالجميع يوم تدخل الأديان فى معترك المنـــاجزات، ويتعـــادى ويتـــصارع ويتقاتل حولها أبناء الأديان !